فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ممن ينقل الحجارة ، وهو يومئذٍ غلام ، فأخذ إزاره فتعرّىٰ واتّقىٰ به الحجر فغشي عليه ، فقيل لأبي طالب: أدرك ابنك فقد غشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته سأله أبو طالب عن غشيته ، فقال: «أتاني آتٍ عليه ثياب بيضٌ ، فقال لي: استتر» ، فقال ابن عباس: فكان ذلك أول ما رآه النبي ﷺ من النبوة؛ أن قيل له: استتر ، فما رُؤيت عورته من يومئذٍ[1].

. . . وعن عروة قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: «أيْ خديجة ، والله لا أعبدُ اللات والعزّى ، والله لا أعبدُ أبداً».

قال: فتقول خديجة: خلّ اللات ، خلّ العزّىٰ ، قال: كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون[2].

أجل يا رسول الله!

لقد حفظك الله ورعاك منذ الصّغر ، وأبعدك عن أقذار الجاهلية ، ورعاك علىٰ عينه ، وربّاك تربيةً لا مثيل لها ، لتكون أفضل المخلوقات مروءةً ، وأحسنهم خُلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنهم جواراً ، لذلك أطلقوا عليك: الصادق الأمين:

وأفضل الخلق علىٰ الإطلاق نبيّنا ، فمِلْ عن الشّقاقِ

---

(١) المستدرك ، الحاكم: ٤/ ٢٤٥.

(٢) المسند ، الإمام أحمد: ٥/ ٣٦٢.

والأنبيـــا يلـــونـــه فـــي الفضـــل وبعـــدهـــم مـــلائـــك ذي الفضـــلِ

وبـالتـالـي ، تكـررت الـروايـات التـي تـدور حـول كـلاءة الله سبحـانـه للحبيب ﷺ ، من ذلك ما قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما هممتُ بما كان أهلُ الجاهلية يهمّون به إلاّ مرتين من الدهر ، كلاهما يعصمني الله تعالىٰ منهما ، قلتُ ليلةً لفتىً كان معي من قريش ، في أعلىٰ مكة في أغنام لأهلها ترعىٰ: أبصر لي غنمي حتىٰ أسمُرَ هذه الليلة بمكة كما تسمُر الفتيان ، قال: نعم ، فخرجتُ فلما جئتُ أدنىٰ دارٍ من دور مكة سمعتُ غنا وصوت دفوفٍ وزمر ، فقلتُ: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوّج فلانةً لرجلٍ من قريش تزوّج امرأة، فلهوتُ بذلك الغنا والصوت حتىٰ غلبتني عيني، فنمتُ فما أيقظني إلاّ مسُّ الشمس ، فرجعتُ فسمعتُ مثل ذلك ، فقيل لي مثلُ ما قيل لي ، فلهوتُ بما سمعتُ وغلبتني عيني فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس ، ثم رجعتُ إلىٰ صاحبي ، فقال: ما فعلتَ؟ فقلتُ: ما فعلتُ شيئاً ، قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هممتُ بعدها أبداً بسوءٍ مما يعملُ أهل الجاهلية حتىٰ أكرمني الله تعالىٰ بنبوّته»[1].

كل هذا تفسيرٌ واضحٌ لقوله تعالى في معرض خطابه للنبي ﷺ ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

[الطور: ٤٨ ـ ٤٩].

أي: واصبر أيها النبيّ على أذى قومك ، ولا تُبالِ بهم ، فإنك بمَرْأى ومنظر منّا ، وفي حفظنا وحمايتنا وتحت كلاءتنا ، والله يعصمك من الناس ، لذلك نزّه ربك عما لا يليق به ، مع الحمد والثناء له سبحانه في كل وقت وحين ، فسلام الله عليك يا أيها المعصوم يا رسول الله:

القـــول فيـــكَ معطّـــر الكلمـــات يـــاصـــاحـــب الأخـــلاق والآيـــاتِ

أيـــام مـــولـــدك الكـــريـــم مضيئـــة فـــي كـــل مـــاض فـــي الـــزمـــان وآتِ

---

(١) عيون الأثر ، ابن سيد الناس: ١/ ٤٤ ، المستدرك: ٤/ ٢٤٥.

يـوم أتـى بـك فـي الـوجـود فـإنـه تـــاج الـــزمـــان وغـــرّة السنـــواتِ
تتعـــاقـــب الأيـــام فـــي دورانهـــا وتـــردّ كـــل جـــديـــده لمـــواتِ
وضيـــاك يسطـــع كـــل يـــوم نـــوره ويـــزيـــد فـــي الإشـــراق والنفحـــاتِ

* * *